# الأستاذ الدكتور فايز الربيع -
# حوار الحضارات

مقدمة: الحوار لفظاً ومعنى

الحوار لفظ لغوي شائع الاستعمال في اللغة العربية منذ الجاهلية، وردت كلمة (الحوار أو المحاورة) فنجد عنترة يقول في معلقته:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مُكلمي

في القرآن الكريم: ((فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)) (الكهف: ٣٤)، ((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)) (المجادلة: ١). والمعنى هو الرجوع عن الشيء، أو الرجوع إلى الشيء وهو محادثة بين شخصين بغية الوصول إلى فهم مشترك حول مسألة مختلف بشأنها، ولاكتشاف الفهم المشترك بينهما بشأن أمر ما.

إن منهج القرآن الكريم يقوم في معظمه على الحوار، في أول الخلق كان هناك حوار الملائكة ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١))) ((وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤))) ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠))) ((قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣))) ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧))) ((قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١))) ((قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩))) ((تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١))) ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦))) ((تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢))) ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨))) ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً

مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠))) (البقرة)،

وهناك حوار زكريا مع ربه ((هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) )) ((قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢))) ((إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥))) (آل عمران)،

وحوار إبراهيم مع قومه وأبيه ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١))) (الأنعام: ٧٤-٨١)،

وحوار إبليس مع الله عزّ وجل ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧))) (الأعراف: ١٢-١٧)،

وحوار نوح مع قومه ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤))) (الأعراف: ٥٩-٦٤)،

وحوار هود مع قومه ((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ

بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢))) (الأعراف: ٦٥-٧٢)،

وحوار صالح مع قومه ((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩))) (الأعراف: ٧٣-٧٩)،

وحوار لوط مع قومه ((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤))) (الأعراف:٨٠-٨٤)،

وحوار موسى مع فرعون ((وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠))) (الأعراف)،

وحوار إبراهيم وزوجه مع الملائكة ((وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦))) (هود: ٦٩ - ٧٦)،

وحوار مريم عليها السلام مع جبريل ((وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥))) (مريم: ١٦ - ٢٥)،

وحوار موسى مع بنات شعيب ((وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨))) (القصص: ٢٢ - ٢٨)،

وحوار إبراهيم مع قومه ((فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠))) (الأنبياء: ٥٨ - ٧٠)، وغيرها من صور الحوار في القرآن الكريم. والرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد منهج الحوار فهو يتحاور مع عمه أبي طالب، ومع رؤساء قريش والمسلمون يحاورون النجاشي، والرسول يتحاور مع رسل قريش يوم الحديبية، وهو يحاور أهل الطائف وبيعة العقبة ومعركة بدر وأُحُد والأحزاب ويوم حنين ومع نصارى نجران، وهناك حوار علي مع الخوارج.

## ساحات الحوار

للحوار ساحات منها الديني والدنيوي، والاجتماعي والثقافي والإعلامي والتربوي والأمني والبيئي والحضاري والاقتصادي والسياسي.

## مشكلات في طريق الحوار

والإسلام عندما يضع الحوار منهاجاً للتعارف فإنه يشترط شرطاً أساسياً وهو (التزام الأحسن من القول)، كما وضع آداباً للحوار بالإضافة إلى ما سبق وهو عدم سب وتجريح المعتقد، عدم الفوقية في الأسلوب والمنهج، عدم الإكراه، البر والقسط.

ولكون الحوار في الوقت الراهن تعترضه مشكلات كثيرة من أهمها اضطراب الرؤى والتصورات وغياب مرجعيات الحوار، وتعدد منابره، وضعف الخبرة، والتنافس فإنه أصبح من الضروري الحديث بمنهجية علمية حول الحوار، بشكل عام وحوار الحضارات بشكل خاص.

## من أهداف الحوار

إن الهدف من حوار الحضارات هو بلوغ الحرية والأمن والعدالة والرقي الروحي لأننا نواجه اليوم مسألة العولمة وفي عالمنا المعاصر تبرز أكثر الضرورات جلاء. فنحن نواجه اليوم مسألة العولمة، وهي في النهاية تستهدف إزالة التنوع الثقافي، وهذا عكس ما يدعو إليه الحوار الذي يرمي إلى الوصول إلى إدراك مشترك عن طريق تبادل المعاني والأفكار.

هناك من يتخذ مواقف معارضة للحوار، وهم المنهزمون فكرياً والمفلسون سياسياً، الذين يعتقدون بعدم إمكانية تحقيق أي تقدم إلا عن طريق تقبل الثقافة الغربية، والذين يسدون الطريق أمام التغيير والتطوير. إذاً الندّية شرط مهم للحوار لأنها تؤدي إلى عدم الإحساس بالدونية.

لقد طرح كثير من المفكرين (مشكلة صدام الحضارات) حتى جاء كتاب صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون ليعطي المسألة بُعداً جاداً وليحول القضية إلى نظرية إستراتيجية للعلاقات الدولية، وليطرح فكرة حتمية الصراع بين الحضارات، وقد ضاعف هذا الأمر الخوف من الإسلام وعودته إلى الساحة بعد سقوط الشيوعية وانتهاء ما كان يُعرف بالحرب الباردة.

## موقفنا من الحوار

إن موقفنا من الحوار ثابت لا يتغير وأوله: تبيان حقيقة موقفنا من الآخر وهو موقف قائم على أساس ((يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ)) (الزمر: ١٨) وعدم إلغاء الآخر ((وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (سبأ: ٢٤) ودعوته إلى المشتركات ((تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ)) (آل عمران: ٦٤).

إن الدعوة إلى الحوار هي دعوة إلى الاعتراف بالجانب الروحي من الإنسان وتقوية الجانب السامي من الإنسان، وهذا يركز على رسالات الأنبياء التي تجمع المعنوي والروحي كشرط لازم لسمو الإنسان.

إن مهمة حوار الحضارات أن يتحمل مسؤولية الكشف عن حقيقة ارتباط الدين بالحضارة وبالطاقة التي يبينها الدين.

## من آثار الحوار

إن من أهم آثار الحوار هو الدخول في عالم المعرفة: معرفة الذات؛ معرفة الهوية الشخصية، وقسم من معرفتنا يحصل بالمقارنة مع الآخر.كذلك يساعد الحوار على إدراك المشترك في الآفاق، ولو أُخليت الساحات للشعوب لدخل بعضها مع بعض في حوار يستهدف تحقيق مصالحها الإنسانية ولحلّت مشاكلها عن طريق التعارف والتفاهم، ولكن القوى المتحكمة ترفض الندّية في الحوار ولا جدوى في الحوار إذا انعدمت الندية. من هنا لا بد من إبعاد المهزومين عن ساحة الحوار، كما لا بد أن يتم استجلاء عظمة المجموعة الحضارية الإسلامية مادياً ومعنوياً وما يمكن أن تقدمه للبشرية. ثم إن الحوار لا يعني الاستغناء عن القوّة بمعانيها المختلفة فالعالم لا يستمع للضعفاء وإنما يُصغي للأقوياء.

## أولويات في الحوار الحضاري

إن أول أولويات الفهم في الحوار الحضاري أن نتفق على مضمون الحضارة ولعلّ وقفة عند قوله تعالى: ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١))) (الشعراء: ١٢٨ - ١٣١) تجعلنا نضع اعتبارين مهمين للحضارة بالمفهوم الدقيق: حضارة مادية مقرونة بقيم إنسانية ذات رصيد ديني، ولعلّ التعريف الذي يقول إن الحضارة هي النتاج المادي والمعنوي لأي أمة من الأمم هو الأدق من بين مئات التعاريف عن الحضارة؛ لأن المجتمع المتحضر هو المجتمع القائم على أساس قيم إنسانية ذات رصيد يؤمن لها الديمومة والبقاء والثبات والموضوعية وليس أغنى من الدين رصيد في هذا المجال.

## من هم الذين يتحاورون؟

إن الحضارات ليست ذوات عينية، لذلك فهي لا تتحاور إلا بممثليها الذين يحققون اللقاء بينها بالصراع أو بالحوار حول مجالات فعلها أو قيمها، فحوارها يكون بين ممثلين لا يتعينون إلا بتعيين مستويات التواصل والتفاضل الممكن بين البشر سواء انتسبوا إلى نفس الجماعة أو إلى جماعات مختلفة ولذلك فاللقاء بين البشر يقبل التصنيف بحسب مجالات الحالات وقيمها التي تنتظم بها حياتهم.

## حوار حضارات أم حوار ثقافات؟

هل يمكننا أن نستعيض عن مصطلح حوار الحضارات بمصطلح (حوار الثقافات)؛ لأن الثقافات هي التي تتصارع وتتحاور بما فيها من فكر وروح ووجدان وعقيدة وتراث وآداب وفلسفة ولغة وفنون، وفي كلا الحالتين (الصراع والحوار) فالثقافات تأخذ من بعضها وتتأثر.

## منطلق الحوار عند المسلمين

إن منطلق الحوار عند المسلمين هو قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (الحجرات: ١٣)، إن التعارف هنا يقتضي بداهةً أن يعرف كل فريق الآخر، وأن يُصغي إليه ويتلمس الوسائل التي تؤدي إلى معرفته على حقيقته، (لا تفاهم بغير فهم، فلا بد من اتباع كل الوسائل المتاحة في أثناء الحوار ليفهم كل فريق الفريق الذي يحاوره) ومن ثم تكمل المعادلة (أن يفهمنا غيرنا وأن نفهم غيرنا). ولكن الهدف لا يجوز أن ينحرف عن طريقه وذلك بالتفريط في شيء من القيم الثابتة والمواقف الجوهرية، فالمسايرة هي في الأسلوب وليس في الجوهر. فلا يكون الحوار حواراً إلا إذا كان المحاور محققاً لذاته، مثبتاً لوجوده، متيقناً من عقيدته وأفكاره.

## صفات المحاور

المحاور عليه أن يتحرى الحقّ، ويبتعد عن شهوة الغلبة، الإسلام مثلاً دين سماحة ورحمة، ولكنه أيضاً دين قوة وجهاد، وأن يضع ذلك في السياق التاريخي والفقهي. مسترشدين بقوله تعالى مثلاً: ((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)) (الحج: ٣٩)، ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) (البقرة: ١٩٠).

لقد حددت الولايات المتحدة في دراسة معمقة ما هي الأخطار التي تواجهها الآن وفي المستقبل القريب فذكرت أربعة هي: المخدرات وهي قضية داخلية، والجريمة المنظمة وهي تخص إدارتها، والإرهاب الذي عرّفته بأنه كل من يقاوم، إذ على الجميع أن يسمع الكلمة، والخطر الرابع أسلحة الدمار الشامل، وفي ضوء ذلك عليك أن تحاور، ولعلّ موضوع الإرهاب هو أخطر هذه المواضيع والذي تداخلت فيه الحقيقة مع الخيال والحق مع الباطل والفهم الخاطئ مع الفهم الصحيح وما إلى ذلك من جملة التشويهات التي أضرت أولاً وأخيراً بالعرب والمسلمين داخلياً وخارجياً.

## حوار الحضارات في عصر العولمة

إن الحضارات كما قلنا بطبيعتها لا تعترف بالحدود السياسية للدول التي تنضوي تحت لوائها، لذلك فإن حوار الحضارات الفعلي أو المفترض يعني وجود علاقة دولية بين كيانات سياسية مستقلة عن بعضها البعض وتتمتع بالسيادة ووحدة الأراضي.

كما أن الحضارات تقوم على ديمومة زمانية، أما العلاقات الدولية فمنظورها آنيّ قد لا ينسجم مع المنظور التاريخي الذي يفترضه مفهوم الحضارة.

هناك من يقول أن العولمة هي (صفة) وليست (وصفة)، هناك من يمثل أمراً واقعاً ولا يخضع للتقييم وهو (صفة) كما يحدث في ميدان التقنيات عموماً، أما الآخر وهو (الوصفة) فهو الدخول في النظام العالمي.

لقد سقط معنى القانون في النظام الدولي الجديد ولعلّ السبب الأساسي هو العلاقة بين أميركا والكيان الصهيوني التي أرى أنها (علاقة داخلية) وليست (علاقة خارجية).

في كثير من الأحيان نحن ننسب الحضارات الإنسانية إلى القارات (فنقول الحضارة الأوروبية)، أو إلى الجهة حيناً فنقول (الحضارة الغربية)، أو إلى اللغة والعقيدة فنقول (الحضارة العربية الإسلامية)، أو إلى الأمة فنقول (الحضارة الصينية أو اليابانية)، أو إلى النهر والوادي فنقول (حضارة بلاد الرافدين)، أو إلى العصر فنقول (الحضارات القديمة أو الحديثة)، ثم نتحدث عن حوار الحضارات أو حوار بين الحضارات، وهناك الحوار الخارجي، كما أن هناك الحوار الداخلي، وعلينا أن ننظر إلى (حوار الحضارات) في مراحل التأطير والتكوين كجهد مناسب وكبديل (للعولمة) التي يطرحها النظام العالمي الجديد، مما دعا الأمين العام للأمم المتحدة إلى إلقاء

محاضرته في عام ١٩٩٩ بعنوان (حوار الحضارات والحاجة إلى أخلاق عالمية)؛ لأن العولمة هي نظام امتدت من خلاله نخبة مالية بسلطانها الذي يشمل العالم كله، مضخّمة أسعار البضائع والخدمات، ومُعيدة توزيع الثروة من القطاعات ذات الدخل الأكثر انخفاضاً إلى القطاعات ذات الدخل الأكثر ارتفاعاً، أي أن العولمة تبشر بنظام عبر قومي جديد لم يعد للدول فيه حدود وعاد الاستعمار فيه إلى الظهور، والعولمة كما يقول كثير من الكتّاب كلمة لتغطية الأمركة عبر سيطرة أميركا على ثلاث وكالات عبر قومية (هي صندوق النقد الدولي، والبنك العالمي، والغَات) التي حلت محلها منظمة التجارة العالمية.

إننا في سباق بين مسعى العولمة إلى خلق سوق عالمية مفتوحة لا تعرف الحدود، والحصول على المواد الخامّ بأسعار رمزية أو رخيصة واستغلال اليد العاملة وفرض المرونة على القوانين، ومسعى حوار الحضارات الذي يسعى إلى تغيير مناخ المواجهة بالتطلع إلى عالم أكثر عدالة وإنسانية. والأماني وحدها لا تكفي إذ لا بد من أن تقترن القوى بالعمل، والتعارف لا يتحقق إلا بالمشاركة بين (الأنا) و(الآخر)، وهويتنا تتضح لنا أكثر من خلال معرفتنا بالآخر، والمتأمل في تاريخ الحضارات يجد أنها مؤسسة على شراكة معرفية تتجاوز حدود اللغة والأرض والأمة، والتي يجب أن توظف لخير الإنسان.

مواقف غربية إيجابية من حوار الحضارات: في محاضرته المعنونة بـ (إحساس بالمقدس) بناء الجسور بين الإسلام والغرب يقول الأمير تشارلز ولي عهد المملكة المتحدة (مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ١٩٩٧) ص١٠: «إنني أبدأ بالاعتقاد أن الحضارة الإسلامية تحمل رسالة هامة إلى كل الغرب تكمن في الطريق التي احتفظت بها برؤية موحدة ومتكاملة لحرمة العالم من حولنا، وإنني أشعر أننا في الغرب يمكن أن نلقى عوناً على إعادة اكتشاف فهمنا الخاص بتقدير احترام التراث الإسلامي العميق للنواميس الأبدية للنظام الطبيعي، وأعتقد بأن تلك العملية يمكن أن تساعد في مهمة التقريب بين ديننا، ويمكن أن تساعدنا نحن الغرب على إعادة التفكير وبنحو أفضل في عنايتنا بالإنسان وبيئته في ميادين الرعاية الصحية والزراعة والعمارة والتخطيط الحضري». لقد كان الإسلام ولا يزال رسالة إنسانية، ولا يكفي أن نتحدث باستمرار عن هذه الرسالة دون أن نجسدها في سلوكنا وتفكيرنا وفي علاقتنا بالآخر.

إن العرب والمسلمين اليوم لا ينتجون وسائل الحضارة الإنسانية الحديثة ولا علومها ولا فلسفتها، وأما العودة إلى معالم الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها فهي عودة إلى التاريخ واسترجاع لذاكرة، وعليه فالشعوب الإسلامية تبحث عن مشروع حضاري جديد لا يمكن للإسلام إلا أن يكون في قلبه، ولا يمكن للمعطيات الحضارية إلا أن تكون مادة اقتباس وتوليف وهضم له.

إننا نطرح سؤالاً كبيراً: هل أمكن للحروب أن تطمس ما أنتج من أفكار أو أن تمنع جريان هذه الأفكار في أماكن الحروب ومساحاتها وفي ما يتجاوز جغرافيتها السياسية. الجواب: لا، وعليه فإن دراسة خبرات التاريخ ودراسة ما يجري اليوم في مسار تسارع (العولمة) قد تساعد في بلورة

منهج للنظر إلى طبيعة العلاقة بين الثقافات وفضاءاتها على أن نضع هذه العلاقة في قلب التاريخ العالمي لا خارجه.

دروس التاريخ هي دروس في المنهج وطريقة النظر دونما مسلّمات (نهاية التاريخ) أو (صدام الحضارات) كما يقول كثير من مفكري الغرب أو زوال الحضارة الإسلامية كما يقول (شنجلِر).

وبالرغم مما يقوله أرنولد تونبي (بالتردي الرتيب للتاريخ) فإنه وكما يرى في كتابه (حرب وحضارة) أن سياسات الدول الكبرى أي سياسات القوة هي التي أفرغت الحضارة من مضمونها الثقافي، الإنساني، والروحي، ومع ذلك فإن ثمة دراسات تفكيكية نظرت إلى مناطق جغرافية بعينها كما حظيت (حضارة المتوسط) من هذه الدراسة التي شملت (الحضارة الغربية اللاتينية، والعربية الإسلامية واليونانية الأرثوذكسية)، لهذه الحضارات كما يقول المؤرخ الفرنسي (فرناندو بردويل) قعر عميق وبينها أوجه من التداخل، أما الحروب والسيطرة فتتحكم فيها مصالح الحكام التجار، وهذا ما تم التعبير عنه أكثر من مرة في الشراكة الأورومتوسطية.

دور العالم الإسلامي في الحوار: وعليه، فإن العالم الإسلامي يمتلك قوة الثقافة ومنظومة القيم التي أدهشت الغرب في قدرتها على الاستمرار والانبعاث والتجدد الأمر الذي اعتبر فيه بعض الغربيين الإسلام كأحد الخيارات الكبرى في العالم المعاصر.

كما ينبغي أن نتعامل مع مشروع حوار الحضارات (كفعل) وليس (كرد فعل).

## حوار الحضارات نظرة إلى المستقبل

إن فلسفة حوار الحضارات هي البحث عن المشتركات العامة والجوهرية والحية بين الحضارات في الحقول المختلفة وعليه فيجب الانتقال من النظر العام لحوار الحضارات إلى النظر الخاص للبحث في المشتركات.

كما أن مشروع الحوار هو رؤية للحاضر والمستقبل ولا ينبغي أن نغلق جسور التواصل، فالماضي ليس مجداً ضائعاً أو حروباً وصراعات، وإنما هو تاريخ جديد متجدد نبحث فيه عن مستقبل مشترك، عن مستقبلنا نحن ومستقبل العالم الذي نحن فيه.

## كيف نفهم حوار الحضارات

لا ينبغي أن يُفهم من حوار الحضارات أنه حوار فقط بين الإسلام والغرب؛ لأن هذا يُفقدنا الرؤية للحضارات الأخرى. إن احترام التنوع يعني بالضرورة أن تقوم العلاقة بين الحضارات على قاعدة العدل، وهو أساس الكون وبه قوامه. ولكي يكون الحوار مجدياً، يجب نبذ التعصب والانفتاح هي قوام هذا الحوار. وهذا يتطلب من أنصار العدل العمل على حماية الثقافة وضمان استقلال الحيّز الثقافي ومقاومة المساعي الرامية إلى تسليع الثقافة

وتنميطها والتطلع إلى بناء رؤية ثقافية متسامية للإنسان ينطلق بناؤها من واقع التنوع الثقافي للإنسانية.

## دور الحضارة الإسلامية في النهوض الحضاري كوسيلة للحوار الحضاري

إن الحضارة الإسلامية لم تتشكل من العدم، ولم تلُمّ شتاتها بطريقة ميكانيكية، من هذه الحضارة أو تلك، وإنما نشأت بتأثيرات إسلامية، ووفق شبكة شروط وتأسيسات محددة صاغها هذا الدين وتكونت في رحم إسلامية، وبصمات كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على حجيراتها ونبضها وجملتها العصبية.

إن أرتولد تونبي وهو يتحدث عن الحضارات العشرين، ومن ثم الست الباقية بما فيها الحضارة الإسلامية يقول إنها معرضة للتفكيك والتلاشي في مدارات الحضارة الغربية.

إننا بحاجة إلى منهج شمولي وليس تفكيكياً لدراسة هذه الحضارة ودورها المعاصر في التأثير بعدما وصلت الحضارة الغربية بآفاقها الفكرية إلى طرق تكاد تكون مسدودة في اتجاهات عدة.

إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة القادرة على الانبعاث لأنها تملك شبكة شروطها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتملك رحمها القادرة على النمو والاستواء. لأن كتاب الله هو النص الوحيد الذي بقي عصيّاً على كل محاولات التشويه والتحريف، لقد تهاوت النظريات الشمولية، والوضعية، وسقطت مقولة تفوق الرجل الأبيض، وتهاوت الإمبراطوريات الاستعمارية وبدأت الأديان تتصارع في اجتذاب الأنصار بطرق قد تكون أحياناً على حساب قيمها الأخلاقية، وليس ثمة غير الإسلام قادراً على ملء الفراغ، مشاركاً في صياغة الحاضر، وواعداً بمستقبل أكثر إنسانية. ولعلنا لم نقف كثيراً عند ظاهرة سقوط الحضارة الإسلامية بقدر ما وقفنا عند سقوط الدول الإسلامية، مما يقدم لنا خبرة بالغة الأهمية في احتمالات النهوض من جديد في ضوء فهم وإدراك العوامل التي قادتنا عبر قرون طويلة إلى التدهور والانحلال. مما يؤهلنا أيضاً لبناء مشروع حضاري بأكبر قدر من الوعي والاستبصار.

## أصول الحضارة الإسلامية

لقد قامت الحضارة الإسلامية على عدة أصول وهي أصول لا بد أن تكون خارطتها موجودة في أي فترة من فترات النهوض الحضاري، ودراستنا سريعاً لهذه الأصول تعيننا أكثر على فهم خصوصية هذه الحضارة وسلاحها.

لقد نفّذ الإسلام نقلات أو تحولات ثلاثة شكلت المناخ الملائم للفعل الحضاري وهي:

### أولاً: النقلة التصورية الاعتقادية

وهي أكثر النقلات أهمية لأنها بمنزلة القاعدة التي بُنيت عليها سائر التحولات، تحويل التوجه الإنساني من التعدد إلى التوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن عشق الحجارة والأصنام والتماثيل والأوثان إلى محبة الحق الذي لا تلمسه الأيدي ولا تراه العيون، كسر للحاجز المادي باتجاه الغيب، وتمكين للعقل من التحقق بقناعات تعلو على الحس القريب، إنها النقلة ((مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)) (البقرة: ٢٥٧). لقد نقلت العقيدة الجديدة العقل إلى السعة والعدل والتوحيد غير محكوم عليه بظلم سلطة فكرية قاهرة ترغمه على قبول ما لا يمكن قبوله باسم الدين.

### ثانياً: النقلة المعرفية

وهي النقلة التي عملت في صميم العقل من أجل تشكيله بالصيغة التي تمكنه من التعامل مع الكون والوجود، الكلمة الأولى كانت (اقرأ)، والعلم ورد في القرآن الكريم في أكثر من (٧٥) موضعاً، وأداة العِلم أقسم الله بها. ومن اقرأ كانت: تفكّر، أعقل، تدبر، تفقّه، انظر، تبصّر.

### ثالثاً: النقلة المنهجية

حيث امتدت في اتجاهات ثلاثة، الأول السببية، بحيث يتأمل الإنسان ويبحث، ويفكر ثم يضع يده على الخيط الذي يربط بين الظواهر والأشياء، لقد أراد القرآن أن يجتاز العقل النظرة التبسيطية المفككة التي تعاين الأشياء والظواهر مقطعّة الأوصال دون قدرة على الجمع والمقارنة والقياس والتقاط عناصر الشبه وعزل عناصر الاختلاف، لتصبح عقلية تركيبية تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطلّ فوق الحشود والظواهر بحثاً عن العلاقة والارتباط ووصولاً إلى الحقيقة المرتجاة. حتى أنها واحدة من طرق الوصول إلى معجزة الخلق ووحدانية الخالق. وعدَّ الكون والوجود سلسلة من الظواهر يرتبط بعضها ببعض.

وكانت النقلة الثانية هي القانونية التاريخية، السؤال هل التاريخ يحكمه قانون؟ نحن نعرف أن القانون يحكم الظواهر العلمية، ولكن القرآن يؤكد على أن التاريخ محكوم بقانون، محكوم بسنن ((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)) (الأحزاب: ٦٢)، ((سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)) (الإسراء: ٧٧) إن القرآن يفرض علينا أن نحول السنن إلى واقع حركي لتجاوز الخطأ. ((أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ)) (السجدة: ٢٦). إن التاريخ إذاً تحكمه السنن ولا تحكمه السنون.

أما النقلة الثالثة فهي المنهج البحثي الحسّي التجريبي. لقد دعا القرآن الكريم الناسَ إلى التبصّر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسّي وأعطى للحواس مسؤولية كبيرة في مجال البحث والنظر والمعرفة والتجريب ((وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)) (الإسراء: ٣٦)، ((فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)) (الطارق: ٥)، ((انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ)) (المائدة: ٧٥)، ((انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)) (الأنعام: ٩٩)، ((فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا)) (الأنعام: ١٠٤)، ((إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)) (الإنسان: ٢).

حتى أن كلمة العلم وردت مراراً لتدل على الدين ((وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) (البقرة: ١٢٠)، ((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (النساء: ١٥٧).

إن الإسلام قد وضع الإنسان في قلب العالم والطبيعة، وفي صميم العلاقات بين الجزيئات والذرات، فربط الإيمان بالإبداع والكشف والتلقي عن الله والتوغل في مسالك الطبيعة، بين تحقيق مستوى روحي وتسخير طاقات العالم لتحقيق الدرجة نفسها من التقدم.

ولقد أكد عصر الرسالة جملة من القيم ذات الارتباط الوثيق بالفعل الحضاري سابقاً ولاحقاً ومن أهمها: المعرفة حجر الزاوية، النزوع إلى الأمام، التحذير من هدر الطاقة، مبدأ الاستخلاف، مبدأ التسخير، روح العمل والإبداع، مجابهة التخريب والفساد، التوازن بين الثنائيات وتوحدها، التناغم والوفاق مع الطبيعة والكون، الميزة التحريرية. لقد أدت هذه القيم إلى جملة من التحولات وفّرت البيئة المناسبة للنشوء الحضاري ومنها:

- التوحيد في مواجهة الشرك.
- الوحدة في مواجهة التجزؤ.
- الدولة في مواجهة القبيلة.
- التشريع في مواجهة العرف.
- المؤسسة في مواجهة التقاليد.
- الأمة في مواجهة العشيرة.
- الإصلاح في مواجهة الفساد.
- المنهج في مواجهة الفوضى.
- المعرفة في مواجهة الجهل.
- الإنسان المسلم في مواجهة الجاهلي.

إن الحقيقة التاريخية التي لا ريب فيها هي أن المسلمين وفّقوا طوال خمسة قرون كاملة إلى القيام بخطوات حاسمة في مختلف مجالات الحضارة من غير أن يديروا ظهورهم للدين وحقائقه.

## تدهور الحضارة الإسلامية

إن ظاهرة التدهور الحضاري تتشكل ببطء وعلى مُكْث، وتسهم في صنعها عوامل شتّى: عقدية وسياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وجغرافية وأخلاقية وغيرها، ويمكننا أن نلحظ عبر المسيرة الحضارية بعضاً من أصناف (القيادة الظالمة) و(القاعدة الساكنة) الترف والحرمان، الأخلاق، الانحلال، عدم التوازن.

إن التفسير الشمولي لسقوط الحضارات وتدهورها هو الأقرب إلى المنطق التاريخي، وإن استمرارية الحضارة رهن بما يصنعه أبناؤها لأنفسهم، فليس ثمة محاباة في نواميس الخلق ((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)) (آل عمران: ١٤٠) والقرآن يتحدث عن عموم الناس ويعرض مبدأ المداولة كفعل دينامي يستهدف تمحيص الجماعات البشرية، والمداولة لا تجيء بصيغة حتمية مقفلة، ولكنها توحي بالحركة والتجدد والأمل وتقرر أن التاريخ ليس حكراً على أحد، ومن ثمّ فلا مبرر لليأس والهزيمة، فمن هم في القمة الآن يمكن أن تزلّ بهم حركة الزمن إلى الحضيض، ومن هم في القاع ستصعد بهم الحركة نفسها إلى القمة. إن سقوط أي تجربة بمنزلة عقاب إلهي مباشر أو غير مباشر عن طريق السنن التاريخية التي تعمل من خلال الإنسان والجماعة، وقد تكون الضربة على شكل عدوان خارجي، أو عصابة داخلية، أو اصطراع طبقي، أو كارثة طبيعية. والقرآن يخاطب الجماعة المؤمنة كما يخاطب أي جماعة بشرية ((وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)) (محمد: ٣٨)، ((كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)) (الدخان: ٢٥ -٢٩)، ((فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)) (إبراهيم: ١٣ - ١٤)، ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) (الأنبياء: ١٠٥)، ((وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا)) (الأعراف: ١٣٧)، ومن عوامل التدهور الحضاري:

١- انحسار الجهاد وتضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- غياب مفهوم التوحيد وتسلل الشرك والصنمية.

٣- الاستبداد السياسي.

٤- الفصام بين القيادتين الفكرية والسياسية.

٥- طغيان القبلية والإقليمية والعرفية على مفهوم الأمة.

٦- الظلم الاجتماعي.

٧- الترف.

٨- التحلل الخُلقي والسلوكي.

٩- الفساد الإداري.

١٠- التمزق المذهبي.

١١- الغلو والتشدد

١٢- وانتشار الرؤية الإرجائية.

١٣- انتشار البدع والخرافات.

١٤- غياب الاجتهاد وسيادة التقليد والاتباع.

١٥- غياب العلم وانتشار الجهل.

١٦- الصراع بين الثنائيات.

١٧- فوضى التعامل مع خبرات الآخر.

١٨- تضاؤل القدرة على توظيف الزمن.

١٩- تضاؤل القدرة على توظيف المكان.

٢٠- أخطاء القيادات الإسلامية المتأخرة.

٢١- العوامل الخارجية.

المحددات: بالمقابل فإننا نحاول التأشير إلى مجموعة من السياقات الأكثر إلحاحاً في سبيل النهوض الحضاري للأمة:

## أولاً: السياق الفكري

لا بد من الاجتهاد في إطار يحمي التشريع الإسلامي من التيبس والتسيّب وهي محاولة لردم الهوّة بين الزمان والمكان، وبين الحياة والواقع، إنّ الفقيه المجتهد كان في زمن التألق الحضاري يقود الحياة، وكان يملك عقلاً ابتكارياً متوقداً. لقد آن الأوان لتجاوز الاستسلام لتقاليد منهجية قادمة من عصور مختلفة محملة الارتجال في العمل والابتعاد عن الفردية، وقد يكون من المفيد التخطيط لفهرسة موسوعية دقيقة وشاملة لمعطياتنا الفقهية ويمكن أن تضع المفاتيح في أيدي الباحثين والمجتهدين لمعرفة مواقع خطواتهم وهم يتجولون عبر معطيات فقه مزدحم كثيف كي يحصلوا على ما يريدون.

ومنها تحقيق الخطوات نفسها بصدد المعطيات الفكرية الإسلامية الحديثة والمعاصرة، ومنها تحقيق الاستمرارية الاجتهادية، وتصميم خارطة معمارية معاصرة

للتصور الفقهي الاجتهادي وآفاقة تأخذ بعين الاعتبار طبيعة التحديات المعاصرة، وتحقيق قدر من الوفاق المرن بين النظرية والتطبيق، وتجاوز التشنج على الكليّات، وحصر كافة الطاقات الإسلامية وتوزيع المهمات عليها وفق توجهاتها واختصاصاتها.

## ثانياً: السياق الثقافي

إن وضع خارطة استراتيجية ثقافية واحدة من أهم مطالب النهوض الحضاري. فتحدي الحضارة الغربية المعاصرة لحضارتنا هو تحدّ ثقافي، والمطلوب ثقافة من صفاتها التميّز والأصالة وتعميق الملامح. إنّ الأمّة تحتاج إلى تأكيد واقعها ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) (البقرة: ١٤٣) وحركة الثقافة تسير باتجاهين: حركة باتجاه المسلمين وحركة باتجاه الغير ضمن مبدأ التعارف.

إن الوحدة والتنوّع في حضارتنا لا تمثل نقيضين متضادّين بقدر ما هي عامل حضاري.

أمّا الغير، فالحركة باتجاهه يجب أن تخضع أيضاً إلى احترام التغاير ومحاولة الإفادة منه بتحقيق مزيد من التعاون بين التعارف بين ثقافة المسلمين وثقافاتهم، ولا يمكن تحقيق الشرط الثاني بفقدان الشرط الأول.

فالثقافة الإسلامية قادرة على لملمة الثنائيات التي بعثرتها المذاهب الأخرى.

ملاحظات حول أجهزة التربية والتعليم:

نحن نعيش عصر التقدم المذهل المتراكم، وتراكم الخبرة، وانفجار المعلومات، والقدرة النوعية في وسائل الاتصال والعولمة الثقافية. ولا بد بعد تجاوز حقيقة أنّ الإسلام هو أهم عوامل التوحد الثقافي، أن نبحث انعكاس ذلك على النشاط الثقافي المعاصر للمسلمين، والبحث في ما تعرض للاضمحلال أو الزوال، وتشخيص الأسباب والمؤثرات، والمؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية هي الأقدر على تأدية هذه المهمة.

وتمثل اللغة العربية عصب التراث التعبيري للمسلمين مرتكزاً يلي العقيدة في تحقيق المقاربة الثقافية، كما تشكل النشاطات والممارسات التربوية والتعليمية واحدة من أهم الوسائل القادرة على حماية وحدة المسلمين الثقافية وتأكيد المنظور الإسلامي للكون والحياة والوجود والإنسان.

إن فكر الأمة يحتاج إلى إصلاح وتقويم البناء النفسي، وإن إمكانية التغيير في كيان الأمة تكمن في العمل المستقبلي وإعداد الناشئة نفسياً وفكرياً على أسس سلمية تعدّها لأداء دورها الحضاري بعد أن يكتمل تكوينها، في اتجاه توجيه الطاقة لترجمة الفكر والمفاهيم والرؤية الإسلامية تربيةً للناشئة.

أمّا المؤسسات الإعلامية فيمكنها أن تمارس دوراً فاعلاً كبيراً في رسم استراتيجيات الإسلام الثقافية والإعانة على تحقيقها.

## ثالثاً: السياق العلمي

إن الأمة الإسلامية مطالبة بأن تستعيد قدرتها على الالتحام بالعالم سننه ونواميسه، وأن تمارس دوراً مؤكداً في تيسير الحياة والدفاع عن الذات وفرض الاحترام على الآخر.

لقد استطاعت أمم كثيرة من خلال منجزاتها العلمية أن تمارس دورها الحضاري وأن تحميه.

إن العلم الحديث - بجانبيه الصرف والتطبيقي وبعيداً عن خلفياته التصورية - ليس مارداً كافراً لكي نتبرأ منه وندعو لحربه ولكنه أداة حيادية يمكن توظيفها لتعزيز وجودنا وعقيدتنا، كما أن العلم ليس ابن الحضارة الغربية وحدها لكي نتردد في احتضانه وتنشئته، ولكنه تراكم للخبرة البشرية ونتاج لحضارات شتّى أسهمت فيها معظم شعوب الأرض الحيّة.. وكان لحضارتنا دور بارز فيه.

إن مهمة التمكين والاستخلاف المبثوثة في آيات القرآن الكريم هي دعوة إلى اعتماد الكشوف العلمية وتطبيقاتها لتوظيف هذا التسخير على أوسع نطاق.

لقد حدد الله أبعاد السماء الدنيا والعالم والطبيعة وقوانينها ونظمها وأحجامها بما يتلاءم ومهمة الاستخلاف ((وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ)) (النحل: ١٢)، ((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا)) (النحل: ١٤)، ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ)) (الحج: ٦٥)، ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ)) (لقمان: ٢٠) ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) (القمر: ٤٩)، ((فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ)) (ص: ٣٦).

لقد ذكر القرآن الكريم كيف سخر الله: الخيل، الطير، الريح، النحاس، والحديد في عدد من الآيات لعبدين من عباده، (أما الحديد والوقود) فكم هما مهمان في حياتنا المعاصرة. وهناك سورة اسمها القلم، لنكتشف أين نحن من القوة، والعدل، والعلم. (البأس الشديد) مرتبط بالحديد كما يقول القرآن الكريم، إننا يجب أن نلفت إلى التداخل والترابط بين إرسال الرسل وإنزال الكتب معهم وإقامة الموازين الدقيقة لنشر العدل بين الناس وبين إنزال الحديد، الذي يجب أن ننقب عنه في باطن الأرض؛ ومن دون الاعتماد الواعي المسؤول الخبير على مصادر القوة والبأس فلن يكون هناك نصر ولا تقدم ولا حماية للموازين والقيم العادلة التي جاء الدين لتنفيذها في الأرض حتى ولو حبس المسلمون أنفسهم في المساجد يتضرعون.

## الواقع

أن التكنولوجيا الإسلامية التي ترتبط بخلفيتها الإيمانية تعد ضرورة ملحة ليس فقط على مستوى الجماعة الإسلامية نفسها وإنما على مستوى البشرية عامة؛ لأنها ستعرف كيف تتحرك وتنضبط على هدْي القيم الدينية والإنسانية القادمة من عند الله.

إننا إذا لم نصل إلى اليوم الذي نبني فيه مختبراتنا ونشغلها بعقولنا ونصنع سلاحنا ونستخدمه بأيدينا فلن تكون لنا خارطة أو مكان في العالم ولن يكون بمقدور القيد المنفصل عن الفاعلية أن يخرجنا من حالة الانهيار الشامل.

إن الشراكة الحضارية التي يمكن أن تبدأ من المسلمين المقيمين في الغرب قد تكون من الخطوات العملية التي يمكن أن يساهم فيها المسلمون على صعيد الأخذ والعطاء، وتبدأ بالعلم المادي وتمر بالقيم الإنسانية، فيمكنهم تقديم نماذج من القيم تتعلق بالأسرة، ومشاكل البنية، والأمن النفسي، والأمل في الحياة، فيتحول المسلم من مصدر قلق إلى مصدر أمان وهو ما اعتراه كثير من الغبش في الفترة الأخيرة. وإن العقول الإسلامية المهاجرة إذا ما استُنهضت، قادرة على الاضطلاع بدور الشراكة الحضارية، منفردين بثلاثة محاور تساعد على ذلك: التفقه في دينهم، والتفقه في واقعهم، وانتهاج المؤسسية للعمل.

إن التقدّم في الميادين العلمية والتقنية والصناعية أمر قائم في الحضارة المعاصرة لا يمكن إنكاره، كما أن التقدم في نظريات حقوق الإنسان وحرياته والنظم الاجتماعية المرتبطة بالمسيرة الحضارية كاستقلالية القضاء وفصل السلطات، جميع ذلك قطع شوطاً كبيراً مع أن الحضارة المعاصرة أصبحت عملاقاً ولكنه عملاق مريض، يملك قوة كبيرة مادية ومعنوية، تجعله قادراً على متابعة الحركة والهيمنة والإنتاج والعلم والتقدم.

إن انهيار الحضارة المعاصرة بمعنى الكلمة اللغوي ووفق التصورات غير الواقعية، ليس عنصراً مساعداً لأي جهة تريد استئناف المسيرة البشرية، فالحضارة المعاصرة أوسع جغرافياً وبشرياً من أي مرحلة حضارية بشرية، ووصلت إلى كل زاوية من زوايا الأرض بإيجابياتها وسلبياتها، وكل انهيار لها له عواقب تتجاوز الحدود الجغرافية والأعراق البشرية والميادين المعيشية.

إن دورنا المساهم في الحضارة المعاصرة والمصوّب لجوانبها أكثر واقعية من تمني زوالها. وهوة التقدم والتخلف يمكن ردمها الآن بصورة أكبر وأسرع من الماضي، ولا تزداد عمقاً واتساعاً إلا نتيجة عدم الشروع في التحرك الحضاري.

إن عملية النهوض كمصطلح هي الأخرى بحاجة إلى دقة في الفهم وبخاصة إذا ارتبطت بكلمات قريبة منها في المعنى ولا بد من الإجابة عن بعض الأسئلة في هذا السياق:

ما هو الحد المطلوب تحقيقه من امتلاك الوسائل للقول إننا بدأنا بالنهوض؟ ما هي الوسائل التي يمكن استيرادها في حركة تبادلية صحية وصحيحة؟ أين نقاط الفصل ونقاط التقاطع؟ هل يتحقق التقدم من خلال امتلاك وسائل الرفاهية أو تصنيعها أو وصفها في خانة الكماليات؟ ما هي أوجه الربط بين المادي والقيمي لنتخلص من نقاط الرفض والنقد للحضارة الغربية؟ هل يمكن الأخذ بمقاييس حضارية جديدة لتحقيق درجة الهدف؟.

لقد كان البناء الحضاري دوماً وعادة مشتركاً لانتماءات متعددة. ووجود أي حضارة واستمرارها مرتبط بدرجة قدرتها على استيعاب ما يوجد في ظلها من تنوع انتخابي، أي دون الضغوط على التفاوت الطبيعي.

## المستقبل

الهدف هو وسيلة للبناء الحضاري، والحضارة هدف إنساني مشترك، وليس هدف أمة فقط، والهدف دائماً يضع عنواناً (أفضل) في طريقه، وعندما ننطلق من الإسلام في طرح طريق النهوض الحضاري الذي نرجو العمل من أجله ننطلق أولاً من الإسلام عقيدة ومنهجاً للمسلمين الملتزمين به، ومنهجاً لسواهم من غير المسلمين ممن هم في داخل دائرته الحضارية، فهو يطرح الرؤية للآخر على تعدد الانتماءات واختلافها ابتداءً بالفرد وانتهاءً بالأمة، ومن ثم بالإنسانية دنيا وآخرة.

إننا بحاجة إلى تواصل بين الباحثين والمفكرين وصناع الفكر وصناع القرار، ومراكز البحوث والتطوير عالمياً، والتحول من الترجمة الاعتباطية إلى الترجمة المدروسة، واعتماد الصيغة الشمولية الإستراتيجية لمسيرة النهوض التي تأخذ بعين الاعتبار جميع الانتماءات والتيارات في دائرتنا الحضارية وتعتمد المنهجية العلمية المرنة.

أما من حيث «من أين نبدأ» فلا بد من وضع بعض المعالم العامة لذلك. كل مصلحة كبرى مقدمة على كل مصلحة جزئية ترتبط قيمها بمنظور النهوض إلى بناء حضاري بقدر ما تتلاقى منهجياً تكاملياً مع المنهج العام، وكل موقف ينطلق من نقاط الالتقاء مع الآخر للتغلب على نقاط الاختلاف يساهم في النهوض.

إن توضيح أسس العلاقة بين صناع الفكر ومراكز صناعة القرار أمر ضروري لعملية النهوض، ومن ثم تأتي المشاركة الحضارية. هذا يتطلب خروج الفكر والسياسة من التقوقع إلى الانفتاح، ومن المنفعية إلى المصلحة العليا، ومن الممارسات الجزئية إلى الممارسة الشاملة، ومن علاقة الصراع إلى التعاون حول قضية مشتركة.

من دعائم النهوض الحضاري تصويب الخلل في العلاقة بين الأجيال وقضية النهوض. إننا بحاجة إلى قراءة الواقع كما هو دون تصوير التقصير إنجازاً، والهزائم نصراً، والتبعيات سياسات واقعية، ومجتمعات الاستيراد والاستهلاك تقدماً ورقياً، من باب

تحديد مصدر الأخطاء؛ وبما أننا نعيش تعاقباً للأجيال، فمن الضروري أن نفكر بما سنورث أجيالنا، ومن ثم تبدو مسؤولية الشباب (ذكوراً وإناثاً) في تحمل المسؤولية، وعليه فإن جيل الشباب أقدر على استيعاب مفردات العصر، واستخدام تقنياته، حيث تكون النقلة الحضارية والعلمية أسرع؛ ذلك أن الواقع يفرض ذلك.

ويمكن القول في عصر العالمية الإسلامية الفاتحة للعقول والقلوب، وفي عصر العولمة الأميركية الغازية للحقول والعقول إن الثقافة الإسلامية تعتبر الحضارة الإنسانية دوحة غنّاء ذات أفنان وأغصان، وهذه الدوحة تتميز بالتنوع، وعلينا أن ندرك أيضاً كيف نسهم في إخصابها.

نحن نقول بتواصل التاريخ الإنساني وامتداده، وهم يقولون بنهاية التاريخ وتصادم الحضارات. إن الإبداع العقلي حق إنساني مشاع لكل آدميّ أياً كان لونه وجنسه ومعتقده.

لقد حملت مشعل الحضارة الإنسانية ثقافات وشعوب، تداولته بالتعاقب دونما عقدة نقص أو عقدة استعلاء، وكان للأمة الإسلامية نصيبها.

إن استئنافنا المساهمة في الشراكة الحضارية لا بد من أن يكون بعيداً عن عقلية السطحية والتلفيق، وعن عقدة النقص والهوان، ولا يجوز أن نبقى قانعين بترجمة العلم الغربي، وباستهلاك الآلات واستيراد التكنولوجيا؛ لأن ذلك يعني الحركة في دائرة (تاريخ العلم) دونما توظيف لخبراتنا العلمية المعاصرة، لا بد أن تستعيد مجتمعاتنا مناخها العقلي والعلمي والشروط النفسية والاجتماعية التي تسمح بالتقدم.

## السياق الحضاري

المساهمة الحضارية: إن الطروحات السابقة في جوانبها الفكرية والثقافية والمادية تقود في مجملها إلى الفضاء الحضاري في آفاقه كافة، وفي ما يلي بعض المرئيات الأولية لصياغة هذا المشروع الحضاري والتعامل معه:

١- مستوى الخطاب: الخطاب ليس محاولة روحية أو شعائرية أو سلوكية أو تربوية أو علمية أو فكرية أو ثقافية أو سياسية أو دعوية أو حركية إنما هو هذا كله. المخاطب هنا أولاً هو الأمة بكاملها وبعث روح الإبداع والحركة فيها، الأمة التي يراد لها الشهادة على الناس. إن الأولوية التي تفرضها المعادلة تقضي جهداً متراكباً ذا طبقتين أولاهما رسم خارطة عمل قديرة على احتواء كل نشاط إسلامي والتنسيق بين مفرداته، وثانيها تحفيز إرادة العمل والبناء والعطاء.

٢- مطالب اللحظة التاريخية: إننا مطالبون أن ندخل في حوار مع حضارة الآخر والهروب من ذلك سيقودنا إلى العزلة والتقوقع.

٣- الأنا والآخر: لا نستطيع أن نقنع الآخر بمشروعنا قبل أن نحوله إلى واقع نعيشه، ولا نستطيع أن نقنع الآخر بمصداقيتنا الحضارية ما لم نضع لأنفسنا النسق الذي يستمد مقوماته من رحم الإسلام ويستجيب لمطالب اللحظة التاريخية. من الضرورة أن تكون البداية أولاً فكرية، باتجاه الإصلاح والتقويم وثانياً بتصميم صيغ جديدة تستجيب للمتغيرات وتتعامل معها بأقصى درجات المرونة. في الواقع يوجد حالياً أداء فكري وعلمي واجتماعي، لكن ينقصه التناغم والانسجام.

إن المعرفة المؤمنة على خلاف المعرفة الملحدة أو اللادينية، تسعى إلى أن تمنح أكُلها للناس كافة، لا تحكمها أنانية الحفاظ على السر وحجب الاكتشاف، بل أن توجُّه الكشف إلى آلات دمار تُجرَّب على البشر قبل الحجر كان من ثمار المعرفة اللادينية.

يقول روجيه غارودي في كتابه وعود الإسلام: «إن المشاركة الإسلامية يمكن أن تكون في عدة محاور، توازن الإسلام ووسطيته، قيمه الأخلاقية، رؤيته الشمولية، قدرته الفذة على منح المغزى لمسيرة الحياة البشرية. إن عقيدة الإسلام هي إجابة على خلق عالم قاده النموذج الغربي للنموّ إلى التفكك الاقتصادي والسياسي والأخلاقي».

أيضاً فإن الحضارة الإسلامية بتقديمها فكرة التسامي الأخلاقي للإنسان كواحدة من أهم مرتكزات الفكر الإسلامي، ستعمل على خلق مستقبل إنساني، في عالم جعل استبعاد السمو منه، وسيطرة نموذج جنوني من النمو، لا يمكن أن يُعاش. إن النموذج الغربي يتباهى بما قدّم في العلم والتقنية. ولكن إذا لم يرتبطا بعقيدة تمنحهما المعنى والهدف والمغزى ماذا ستكون النتيجة؟

إن غارودي يتساءل ماذا يستطيع الإسلام أن يقدم لنا ليعيدنا للإجابة عن المسؤوليات التي تفرضها قدرة العلم والتقنية على جميع البشر اليوم. إن المشكلة كما يقول كونيّة، ولا يمكن للجواب إلا أن يكون على المستوى الكوني.

إنها قضية مستقبلنا، مستقبل جميع البشر.

إن الإسلام والحضارة التي تعبر عنه يحملان بذور تغيير جذري على مستوى الإنسانية.